الدولة الاخشيدية (٣٢٣-٣٥٨ه/٩٣٥-٩٦٩م)

عادت مصر الى احضان الخلافة العباسية ، لكن هذه الخلافة اصابها الوهن مرة اخرى في عهد الخليفة المقتدر ،وظهر عجزها في المحافظة عل سلطتها في ولاياتها، ومنها مصر ،وصاحب ذلك ظهور خطر خارجي تمثل في محاولات الفاطميين غزو هذا البلد ،فتطلب الوضع وجود حاكم قوي يملأ الفراغ ،ويتصدى للأخطار ،ويجعل من مصر دولة حاجزة امام الزحف الفاطمي ،فولى الخليفة محمد بن طغج بن جف على مصر في عام (٣٢٣ه/٩٣٥م) وكلفه بهذه المهمة .فيعد محمد بن طغج مؤسس الدولة الاخشيدية تركي الاصل الملقب بالاخشيد ،والاخشيد معناه (ملك الملوك) وهو لقب ملوك فرغانة وهي احدى بلاد ماوراء النهر التي تتاخم بلاد التركستان .

كان محمد بن طغج من موالي ال طولون ،وكان الخليفة الراضي بالله (٣٢٢ه/٣٢٩م) قد رضي عن محمد بن طغج حينما صد هجوم الفاطميين على مصر سنة (٣٢٣ه)،فقلده ولايتها ،وكانت علاقة الاخشيديين بالخلافة العباسية علاقة ولاء كامل حتى ان محمد بن طغج عرض على الخليفة العباسي المتقي بالله (٣٢٩ه- ٣٣٣ه)ان ينتقل الى مصر ويجعلها مقرا للخلافة ،مقتديا بأبن طولون ،مستغلا استبداد الامراء الاتراك بالخليفة المتقي واحجام الحمدانيين عن مساعدته ،الأأنه فشل في ذلك ايضا لان الخليفة رفض ان يترك عاصمته .وعلى العموم كان ولاة هذه الدولة متدينيين ،فقد كان بلاط الاخشيد مجتمعا للعلماء والادباء ،وكان ابن طغج يحضر ختمة القرآن في رمضان ويبكي عند سماعه القرآن .وكان ابن طغج بطلا شجاعا حازما .

اهتم محمد بن طغج اولا بتقوية مركزه في الداخل منتهجا نهج احمد بن

طولون ،ونجح في التصدي لحملات الفاطميين التي هاجمت مصر في عام (٣٢٤ه/٩٣٥م) وحافظ في الوقت نفسه على علاقته الطيبة مع الخلافة العباسية التي اضافت الى املاكه بلاد الشام ،ولقبه الخليفة ((بالاخشيد)).

كانت الخلافة العباسية انذاك تشهد تطورات سريعة بفعل الصراع من اجل الحصول على منصب امير الامراء ،فدخل الاخشيد في دوامة هذا الصراع ،فهزم ابن رائق في العريش في عام (٣٢٨ه/٩٤٠م)،لكن الاخشيد آثر تقديم المصلحة العامة على مصلحته الخاصة ،فعقد صلحا مع ابن رائق تنازل بموجبه عن الاراضي الشامية الواقعة شمالي الرملة ،ثم سيطر على كامل بلاد الشام بعد وفاته في عام (٣٣٠ه/٩٤٢م)،واعترف الخليفة المتقي بوراثية ولايته على مصر وأقره على بلاد الشام .

واصطدم الاخشيد بسيف الدولة الحمداني اثناء توسعه بأتجاه الشمال ،الا انه تراجع على الرغم من انتصاره لانه ادرك ضرورة وجود قوة اسلامية في شمالي بلاد الشام كقوة الحمدانيين ،للتصدي لاعتداءات البيزنطينيين .

وبعد وفاة كافور سنة (٣٣٤ه) تولى مكانه ابنه انوجور الذي لم يتجاوز (١٤)عام لذلك اصبح كافور مدبر الامر في عهد انوجور ،واخيه علي ،ثم عهد ابنه احمد ،بأعتباره وصيا على ولديه الصغيرين انوجور وعلي ،واستطاع خلال مدة وصايته الطويلة ان يحافظ على تماسك الدولة .

فبين سنة (٣٥٥ه-٣٥٧ه) تعرضت مصر والشام لهجمات القرامطة من الشرق ،وهجمات الفاطميين من الغرب ،وهجوم ملك النوبة على مصر من الجنوب ،وفي النهاية دخل الفاطميين مصر ثم الشام ،لكن وفاته في عام(٣٥٧ه/٩٦٨م) واضطراب الاوضاع في مصر نتيجة ذلك ،دفعت الفاطميين للاغارة على مصر،ونجحوا في دخولها في العام التالي اي في عام (٣٥٨ه/٩٦٩م) فقضوا على الحكم الاخشيدي .

على الرغم من قصر عصر الدولة الاخشيدية في مصر ،فقد شهدت نشاطا حضاريا مزدهرا في ميادين الفنون والاداب والعلوم ،ولكن الذي وصل الينا من آثاره قليل بسبب تقادم الزمن من ناحية ،ومجيء العصر الفاطمي بعده من ناحية اخرى الذي طغت آثاره على ماكان في مصر قبلها من الاثار الاسلامية .

وعلى الرغم من ان الاخشيديين اهتموا بالبناء وتشييد القصور الانهم لم يهتموا ببناء مدينة جديدة في مصر ترتبط بهم على غرار مدينة الفسطاط والعساكر،ولم تذكر المصادر الا اهتمام محمد بن طغج الاخشيد بتجديد بناء كثير من المساجد .وكان للاخشيد دار اطلق عليها اسم المختار في جزيرة الروضة ،كما ان كافور الاخشيدي شيد مسجدا في سفح المقطم اطلق عليه اسم مسجد الفقاعي ،وكان في وسطه محراب من الطوب ،وهو اول محراب بني في مصر .

وانشأ الاخشيد محمد بن طغج جيشا على غرار الجيش الطولوني ،حتى اضحى من اكبر القوى العسكرية في العالم الاسلامي .

كما اهتم الاخشيديون بأنتعاش الاحوال الاقتصادية في مصر ،واولوا عنايتهم بالزراعة والصناعة والتجارة .والى جانب هذا كانت مصر بلدا صناعيا ،فأشتهرت في العصر الاخشيدي بصناعة النسيج الرقيق ،وامتازت بصفة خاصة بالاقمشة ذات الخيوط الذهبية التي كانت تصدر الى العراق .وقد ظل الخلفاء العباسيون في العصر الاخشيدي يستمدون من مصر اكثر مايلزمهم من المنسوجات النفيسة المحلاة بالكتابات الكوفية .

كما ظهرت صناعة الورق التي حلت محل البردي،واشتهرت مصر بصناعة الاسلحة والتحف الدقيقة المطعمة بالذهب والفضة والجواهرالثمينة ،وانشأ الاخشيد دارا لصناعة السفن بالفسطاط سنة (٣٢٥ه).

اما التجارة فقد ارتفع شأنها في العصر الاخشيدي ،ذلك ان تجارة الشرق التي كانت تتجه الى المحيط الهندي والشرق الاقصى ،اخذت تتحول عن طريق الخليج العربي والعراق – اي عن طريق هرمز والبصرة – الى طريق مصر والبحر الاحمر .ويذكر المقدسي :ان ثغر عدن صار في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي، اهم مركز تجاري ، في حين اخذت بغداد تتدهور وتفقد مكانتها .

المصادر /

١–ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة

٢– ابن الاثير ،الكامل في التاريخ

٣– طقوش ،التاريخ الاسلامي الوجيز

أ.م.د اسراء طارق الجبوري
دويلات اسلامية
المرحلة الرابعة /قسم التاريخ